

مطبعة مركزية الأقباط الأرثوذكس
خدمة الشباب

أذكر خالقك
في
أيام شبابك



٤٤

الأنبا ميناوس
الأمم في العام



يطلب من

٠ مكتبة الشباب ..

بطيركية الاقباط الارثوذكس بالقاهرة

٠ سائر المكتبات المسيحية ..

الفصل الأول



بِسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ
الَّلهِ الْوَاحِدِ . آمِينَ

أذكر خالك في أيام شبابك

« جا ١٢ : ١ »

هذه النصيحة العظيمة للشباب وردت على لسان الحكيم سليمان الملك في سفر الجامعة الذي كتبه في أواخر حياته وهو في أوج حكمته وخبرته وحنكته . لذلك حرى بكل شاب أن يسمع هذه النصيحة ويعمل بها ، خصوصا أن الحكيم أورد أسبابا كثيرة تجعل الشباب يقتنع بهذه النصيحة ويعمل بها فور سماعها .

من الأسباب الكثيرة التي أورها الحكيم سليمان في هذا المزمور في الاصحاح الثاني عشر من سفر الجامعة :

١ - قبل أن تأتي أيام الشر :

ويقصد هنا أيام المرض الذي يحل بالانسان ويعوقه عن تأدية واجباته الروحية والاجتماعية ، وحتى المعيشية .

ان فترة الشباب هي زمان القوة والصحة ، يكون فيها الانسان قادرا على الجهاد بكل أنواعه من صوم وصلاة وذهاب للكنيسة وخدمة وأى عمل مثمر .

لكن ان ترك الشباب ذكر الله وحياة التقوى والفضيلة
وجرى وراء اغراءات الشيطان وشهوات العالم ونزواته،
فسرعان ما تأتيه أيام الشر أى أيام الأمراض والمتاعب
التي يكون أغلبها نتيجة خطايا شريرة وعادات سيئة
يتعودها الشباب البعيد عن الله ويقول الحكيم « لا تكن
شريرا كثيرا ، ولا تكن جاهلا . لماذا تموت فى غير
وقتك » (جا ٧ : ١٧) .

ويقول بعضهم متهكمين على عادة التدخين ، ان للتدخين
أربع فوائد :

(أ) المدخن لا يشيخ :

والمعنى أنه يموت فى شبابه بسبب الأمراض الخبيثة
المستعصية التي يسببها التدخين كأنواع السرطان المختلفة
التي تقضى عليه سريعا قبل أن يصل الى سن الشيخوخة .

(ب) المدخن لا يسرق اللصوص بيته :

والمعنى أنه يصاب بالسعال الشديد والربو وحساسية
الصدر ، مما يترسب على الصدر والرئتين من الأدخنة
والقطران والنيكوتين المتخلف من شرب السجائر ، فيظل
طول الليل يسعل وهو ساهر لا يذوق طعم الراحة والنوم .

(ج) المدخن لا تعضه الكلاب :

لأن التدخين يضييه بالضعف والوهن وعدم القدرة

على المشى فيضطر لحمل عصا يتوكأ عليها فتراها الكلاب وتهرب .

(د) المدخن لا يتعرض لسرقة أو النشل :

والمعنى أن جيبه يكون دائماً خاويًا من المال ، لأن كل ما يحصل عليه من مال يشتري به سجائر ، وبذلك لا يجد اللصوص ما يسرقونه من جيبه .

ويصل الحد ببعض الناس المدمنين على المكيفات إذا لم يكن معهم ما يشترون به هذه المكيفات يستدينون أو يبيعون بعض قطع أثاث منازلهم ليشتروا به هذه المكيفات .

وما ينطبق على السجائر من أنها تعجل بالمرض والموت قبل سن الشيخوخة ينطبق على بقية المكيفات :

+ فالخمر تجلب قرحة المعدة وتليف الكبد .

+ المخدرات لها أمراضها الجسدية والنفسية والعصبية

التي تجعل الانسان ينهار ولا يصبح نافعا لشيء .

+ خطايا الجنس التي تسبب للشباب أمراضا صعبة

نفسية وجسدية وروحية وتهدم حياتهم ومستقبلهم .

قيل أن أحد الرسامين أراد أن يرسم صورة للسيد

المسيح الذي هو أبرع جمالا من بنى البشر ، فأخذ يبحث

عن شاب جميل الصورة ، صحيح الجسم ، له مسحة من

الروحانية والهدوء والوداعة حتى وجدته ، فرسم له

صورة رائعة وقريبة جدا من ملامح صورة السيد المسيح . وبعد سنوات قليلة أراد نفس المصور أن يعمل صورة ليهودا الاسخريوطى الخائن فأخذ يبحث عن صورة شاب قبيح المنظر ضعيف البنية سىء الخلق ، فوجد شابا بهذه الأوصاف . وبينما هو يرسم الصورة سأله الشاب: لقد رسمت لى صورة قبل ذلك ، فلماذا هذه الصورة الأخرى . وهنا صعب الرسام وسأله :

هل أنت هو الشاب الذى رسمت لك صورة منذ عدة سنوات ، ولما أجابه بنعم سأله ، وما الذى بدل صحتك الى الضعف وجمالك الى قبح وأخلاقك الحسنه الى أخلاق سيئة .

وهنا أجابه الشاب : انه انحرف الشباب يا سيدى، فقد أدمنت الخمر والمكيفات والمخدرات وخطايا الجنس حتى وصلت الى هذه الحالة السيئة التى تدعو الى الرثاء . وهذه القصة تعطينا فكرة عما تصنعه المكيفات والعادات السيئة والخطايا الشبابية بالشباب فتهدم حياته ومستقبله وتضيع صحته وتصيبه بالكثير من الأمراض وبذلك تأتية « أيام الشر » كعقاب عادل عن نسيانه الله فى أيام شبابه مخالفا وصية الحكيم :

« أنكر خالقك فى أيام شبابك » .

ليس معنى ذلك أن الانسان المستقيم الذى لا يتعاطى
المكيفات والمسكرات لا يصاب بالأمراض ، فالأمراض
كثيرة ويتعرض لها كل الناس ولكن المعروف أن الانسان
المدخن أكثر عرضة للأمراض من غير المدخن والسكير
أكثر عرضة للأمراض من غير السكير ، ومدمن المكيفات
أكثر عرضة للأمراض العصبية والنفسية من الذى لا يتعاطى
المكيفات الذى يحتفظ باتزانه العقلى والعصبى وصحته
الجسدية أيضا ، ولكنه قد يصاب بأمراض أخرى نتيجة
الميكروبات التى يمتلىء بها الجو ، وغير ذلك من
الأسباب .

٢ - أو تجيء السنون اذ تقول ليس لى فيها سرور :

وهنا يقصد الشيخوخة بضعفها وأمراضها وأتعبها
التي تفقد الانسان كل احساس بالفرح والبهجة والرغبة فى
العمل والطموح والحركة ، الأيام التى يجلس فيها العجوز
أو ينسام على سرير مرضه منتظرا الموت بين لحظة
وأخرى .

فى أيام الشيخوخة لا يستطيع الانسان أن يذكر الله
كما يجب ، ولا يستطيع أن يجاهد جهادا روحيا كما يجب ،
ولا يستطيع أن يصوم لأن جسمه ضعيف ومعدته متعبنة
والأطباء ينصحونه بعدم الصوم حتى لو أراد هو .

+ لا يستطيع أن يقف للصلاة مددا طويلة والا ارتعشت
رجلاه وخفق قلبه ووقع مغشيا عليه .

+ لا يقدر أن يذهب للكنيسة لأنه لا يستطيع أن يمشى بسبب آلام روماتيزمية فى رجلية أو غير ذلك من الآلام التى تقعد الانسان عن الحركة .

+ لا يقدر أن يخدم أو يقوم بأى مجهود من أجل الكنيسة وخدمة الآخرين ، وبذلك تضيق عليه فرصة الجهاد من أجل الحياة الأبدية . لذلك ينصحنا الحكيم قائلًا :

« فى الصباح ازرع زرعك » (جا ١١ : ٦) أى جاهد فى مقتبل عمرك واذكر خالقك فى أيام شبابك ، كما يقول أحد القديسين :

« جاهد فى شبابك لكى تفرح فى كبرك » .

فالذى يذكر خالقه فى أيام شبابه ويقضيها فى مرضاة الله وفى الجهاد لتنفيذ وصاياه تكون شيخوخته مباركة ويختم حياته بشيئة صالحة .

كما يقول الحكيم « تاج جمال شيئة توجد فى طريق البر » (أم ١٦ : ٣١) .

كما يقول أيضا « رب الولد فى طريق الرب فمتى شاخ أيضا لا يحيد عنه » (أم ٢٢ : ٦) .

فمن أجل أمراض الشيخوخة وثقل السنين وعدم القدرة على الجهاد ، وجب على الشاب أن يذكر خالقه فى أيام شبابه ويجاهد جهادا روحانيا ويحفظ نفسه طاهرا مقدسا

نفسا وجسدا وروحا حتى يفرح فى شيخوخته وتكون شيخوخته صالحة مثمرة بالخبرة الروحية والاختبارات المقدسة التى يعلم بها الشبان والأحداث . فيكون مباركا ويصبح بركة لغيره ، والنهاية حياة أبدية سعيدة .

بعكس الشاب الذى يقضى شبابه بعيدا عن الله فى حياة لهو واستهتار حينما يصل لسن الشيخوخة يندم على السنين التى أضاعها فى الخطية ويحاول أن يجاهد فلا يستطيع ويعيش فى اليأس والضيق والمتاعب النفسية والجسدية فيتعب هو ويكون سببا فى تعب وعثرة للذين حوله ، وينتظر مع الموت حياة أبدية تعيسة بعيدا عن الله الذى ابتعد هو عنه بارادته ولم يذكره فى أيام شبابه ، الوقت المناسب لذكر الله والجهاد لعمل وصايا .

٢ - تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم :

الانسان العجوز اذ يفقد نظره أو يضعف ، تبدو الشمس أمامه وهى فى رابعة النهار مظلمة كأنه قد أسدل عليها ستار يحجبها عنه ، كذلك نور القمر والنجوم بكل ما فيه من جمال وبهجة يحرم العجائز من رؤيته كما يحرمون من أى نور آخر سواء نور مصباح أو غيره وبالتالي لا يحسون بأى بهجة أو فرح بل يعيشون فى ظلام وتعب .

٤ - ترجع السحب بعد المطر :

كما أن دورة السحب والمطر لا تنقطع كذلك الأمراض والآلام بالنسبة للشيوخ والعجائز ، ان تخلصوا من مرض أو ألم أصابهم مرض آخر ، وبذلك ينحل جسمهم شيئاً فشيئاً ولا يقدرّون على عمل شيء مفيد لهم ولا لغيرهم ، ولا يقدرّون على عبادة ولا على خدمة بل يحتاجون لمن يخدمهم ويعتنى بهم .

٥ - فيه يتزعزع حفظة البيت :

الرأس هي مركز التفكير والتدبير في الجسد وهي بمثابة الدفة في السفينة ، تصيبها الآلام والأوجاع المختلفة فلا تقدر على التفكير أو التوجيه .
اليدان اللتان تعملان لحفظ الجسد وحمايته من أي شر أو معتدى تضعفان وأحياناً يصيبهما الشلل وبذلك تفقدان قدرتهما على القيام بمهمتهما في حفظ الجسد والعناية به من أكل أو شرب أو حماية أو غير ذلك .

٦ - تتلوى رجال القوة :

الرجلان اللتان كانتا دعامة الجسد تنقلانه الى حيث يشاء تضعفان وتتلويان ولا تستطيعان السير وبذلك لا يستطيع الانسان أن يتحرك أو يذهب الى الكنيسة أو يحضر اجتماعا بسبب مرض رجليه أو ضعفهما .

الرجال الذين كانوا « رجال قوة » يفخرون بقوتهم وشبابهم ، يضعفون وتنحني ظهورهم من كثرة الأيام وثقل السنين .

٧ - تبطل الطواحين لأنها قلت :

أى ان الاسنان التى بها نمضغ أو نطحن الطعام ونهيئنه للهضم تكف عن تأدية عملها لأنها انخلت كلها أو أصابها مرض أو انخلع بعضها وضارت قليلة ومتفرقة عن بعضها داخل الفم لا تكفى لمضغ الطعام مضغاً جيداً وهذا يسبب ارتباجاً للمعدة وعسراً للهضم وغير ذلك من المتاعب والآلام ، كما تقل استفادة الجسم من الطعام مما يؤدى الى ضعفه وتهدمه .

٨ - تظلم النواظر من الشيايبك :

أى أن العينين يصيبهما الضعف أو العمى فيعيش الانسان فى ظلام . والشيايبك هما الجفنان اللذان يحميان العينين ومن بينهما يرى الانسان الأشياء بعينيه . فى الشيخوخة يضعف النظر وأحياناً كثيرة - حمانا الله - يفقده الانسان تماماً ، ويصبح الانسان فى حالة يرتى لها ، لا يقدر أن يقرأ فى الكتاب المقدس ليتعزى به ، ولا فى كتاب الأجيبة ليصلى بالمزامير صلوات السواعى التى رتبها الآباء للصلاة والشركة مع الله ولا يقدر أن يقرأ أى كتب أخرى تعزیه وتجعله يتحمل ثقل الشيخوخة

وأمرأضها كما تجعله فى شركة مع الله بالذكر الدائم له
ولحفظ وصاياه .

٩ - نثلق الأبواب فى السوق :

الشيوخ والعجائز يجلسون فى عقر دارهم ويغلقون
الأبواب ولا يقررون حتى على الخروج لقضاء حاجاتهم
الضرورية من السوق .

كما أن الشفاه وهى أبواب الفم تغلق إذ لا يستطيعون
الكلام لضعفهم وخوارهم .

١٠ - يأنوم لصوت العصفور :

الإنسان العجوز لا يتمتع بنوم عميق إذ تقل ساعات
نومه . ويصبح نومه خفيفا بحيث أى حركة مهما كانت
خفيفة ولو كانت صوت عصفور على شجرة مجاورة
يجعله يستيقظ ولا يأنرق طعم النوم ثانية .

الطفل الرضيع ينام ما يقرب من عشرين ساعة فى
اليوم .

الإنسان العادى يحتاج لثمانية ساعات نوم تكفيه .

الرجل العجوز الطاعن فى السن لا ينام أكثر من خمس
ساعات من الليل والباقى يقضيه ساهرا إما بسبب
المرض أو الألم أو الهموم أو غير ذلك من الأسباب ، ولكنه
للاسف لا يستطيع أن يقضى وقت السهر هذا فى وقفة للصلاة
أو قراءة فى الكتاب المقدس أو كتاب روى يستثمر به

الوقت ويستفيد من هذا الوقت ، لا لأنه لا يريد ولكن لأن صحته لا تساعد على ذلك .

١١ - تهبط كل بنات الغناء :

تضعف حنجرتهم عن الغناء سواء كانت أغاني روحية مثل الترانيم والصلوات ان كان انسانا تقيا ، وعن الغناء العالمى ان كان انسانا عالميا .

كذلك تثقل أذناه عن السمع فلا يسمع صوت كلام ولا صوت ترنيمة . لذلك لا يجد لذة فى هذه الحياة ، ويفقد كل شعور بالفرح والراحة ويصبح معزولا عن العالم الذى حوله ، عالم المرئيات وعالم المسموعات .

١٢ - يخافون من العالمى :

الناس العجائز يخافون من الصعود الى أى مكان عال اما لعدم استطاعتهم الوصول اليه لضيق تنفسهم أو لضعف أقدامهم أو لشدة ارتفاع ضغط الدم عندهم أو خوفا من أن يعتريهم الدوار من العلو الشاهق لضعف أعصابهم أو لأى سبب آخر . وبذلك يحجمون عن الصعود حتى لو كان لأمر هام مثل مشاركة فى حزن أو فرح أو زيارة مريض أو تأدية خدمة لأحد وعذرهم معهم . . . انهم عجائز .

١٣ - وفى الطريق أهوال :

الانسان العجوز لا يستطيع مجرد المشى فى الطريق منفردا ، فنظره ضعيف وقد يعثر فى حفرة صغيرة أو

حجر صغير ويسقط على الأرض وقد ينكسر أحد أعضائه
ولا أمل في شفاء كسر يصيب انسانا عجوزا مهما كان هذا
الكسر بسيطا لأن عوامل البناء في جسمه أصبحت ضعيفة
للغاية . أذنه ثقيلة قد لا يسمع صوت نغير سيارة مسرعة
فتصدمه صدمة قد تميته أو تكسر بعض أعضائه ويصبح
في حالة سيئة .

وهكذا يصبح الطريق - مهما كان سالكا وممهدا -
مملوءا بالأهوال والمخاطر بالنسبة له لذلك لا يستطيع
العجوز أن يواظب على الصلاة في الكنيسة أو حضور
الاجتماعات أو الخدمة .

١٤ - اللوز يزهر :

وهذا كناية عن الشيب ، فشجرة اللوز زهرها أبيض
وحينما تزهر تصبح بيضاء لكثرة زهرها ، هكذا الأشيب
يصبح كل شعره أبيض والشيب يعطى الانسان احساسا بأنه
أصبح عجوزا ولم يعد قادرا على عمل شيء ما ، فيميل الى
الراحة والتواكل .

١٥ - الجندب يستثقل :

الجندب هو حشرة صغيرة من نوع الجراد ، وكان
يستعمل كطعام ، فقد كان يوحنا المعمدان وهو ساكن
في البرية يأكل « جرادا وعسلا برياً » (مت ٣ : ٤) والطعام
المصنوع من الجندب - على ما يبدو - كان طعاما خفيفا

يناسب المرضى وكبار السن ، وهذا الحكيم يقول حتى هذا الطعام الخفيف يصبح ثقيلًا على المعدة لضعفها وحمولها وقلة عصارات الهضم بها فيتعب العجوز من أخف الأطعمة ، وبذلك يكاد لا يأكل شيئًا أو قد يمنع بأمر الأطباء من تناول أنواع كثيرة من الأطعمة لأن عنده سكر أو تصلب شرايين أو ضغط دم أو أمراض في الكلى أو الكبد أو المعدة أو الأمعاء ، وهذا كله يؤثر على صحته وقوته فيصاب بالضعف والذبول ، وبالتالي لا يستطيع أن يعمل شيئًا من العبادات أو الجهادات الروحية .

البعض يفسر عبارة « الجندب يستثقل » بأن الجندب وهو حشرة صغيرة خفيفة الوزن جدا ، ومع كل هذه الخفة يحس الرجل العجوز أنها شيء ثقيل حينما يحملها وذلك لشدة ضعفه وعدم مقدرته على حمل أى شيء مهما كان خفيفا .

١٦ - الشهوة تبطل :

مادام أصبح العجوز يتعب من أى طعام يأكله فهو بالتالى يخاف من تناول أى طعام ولا يشتهي أى طعام مهما كان لذيذاً لئلا يتعب ويتألم اذا تناوله فتبطل شهوته تجاه أى لذة جسدية لأنها تسبب له آلاما صعبة .

١٧ - لأن الانسان ذاهب الى بيته الأبدى والنادبون يطوفون في السوق :

كل ظواهر الشيخوخة التي ذكرناها سابقا ما هي الا انذارات بقرب الموت وذهاب الانسان الى بيته ومستقره الأبدى ، فليس لنا هنا مدينة باقية ولكننا نطلب العتيدة (عب ١٣ : ٤) .

نحن هنا غرباء ونزلاء أما موطننا الأصلي فهو في السماوات وعندما يموت الانسان يخلف وراءه الدموع والحزن والندب والصراخ والعيويل من أقربائه ومحبيه ، خصوصا اذا كانت سيرته رديئة وقضى حياته في اللهو والاستهتار بعيدا عن الله وعن الكنيسة ويحس الذين حوله أنه مات بدون توبة فيزداد حزنهم وألمهم وندبهم عليه .

١٨ - قبل ما يتفصم جبل الفضة :

الموت سيحل هيكل أجسادنا وينقض بيت خيمتنا الأرضي (٢ كو ٥ : ١) في ساعة الموت يتفصم جبل الفضة أي ينقطع ذلك الرباط العجيب الذي يربط الروح بالجسد ، وتنحل تلك الرابطة المقدسة فيرجع التراب (الجسد) الى الأرض كما كان ، وترجع الروح الى الله الذي أعطهاها (جا ١٢ : ٧) فاذا كان الجسد ترابا وسيعود الى التراب ويصبح مأكلا للدود ، لذلك يجب علينا ألا نغمس في

شهوات الجسد ونطلق له العنان فى كل ما يطلب من شهوات وملذات بل نستمع لنصيحة معلمنا بولس الرسول:

« لا تملكن الخطيئة فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته ، ولا تقدموا أعضاءكم آلات اثم للخطيئة بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله » (روم ٦ : ١٢ ، ١٣) . ويقول أيضا :

« من يزرع للجسد فمن الجسد يحصد فسادا ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غل ٦ : ٨) .

وما دامت الروح سترجع الى الله الذى أعطاها وستقف أمام الديان العادل لتقدم له حساب وكالتها ، وبعدها تسكن اما مع الأرواح التى فى السجن (١ بط ٣ : ١٩) أى الجحيم ان كانت شريرة وغير تائبسة ، أو تسكن مع الأرواح التى فى الفردوس (لو ٢٢ : ٤٣) ان كانت صالحة وذكرت الله فى شبابها وشيخوختها وعاشت حياتها على الأرض فى مخافته ومحبته وحفظ وصاياها لذلك وجب أن نتذكر دائما ساعة موتنا حسب قول الحكيم :

« لأن ذات « الموت » نهاية كل انسان والذى يضعه فى قلبه » (جا ٧ : ٢) تلك الساعة المرهوبة التى كانت هى الشغل الشاغل للقديسين مثل ارسانيوس الذى قال : « منذ أن أتيت الى الرهبنة وذكر ساعة الموت لايفارقنى »

لذلك عاش حياة قداسة وطهارة والتصاق دائم بالله
وذكر دائم لوصاياه فأصبح قديسا عظيما ونال اكليل
الحياة فى المجد .

ينصحن الحكيم أن نذكر خالقنا فى أيام شبابنا قبل
أن ينفصم حبل الفضة أى تنقطع العلاقة المقدسة بين
الروح والجسد بالموت الذى لا نجد بعده فرصة للتوبة
أو ذكر الله أو العمل بوصاياه بل ننتظر دينونة عادلة ليس
فيها محاباة .

بعض المفسرين يقولون عن « حبل الفضة » أنه الحبل
الشوكى المتصل بالمنخ ومنه تتفرع الأعصاب مكونة الجهاز
العصبى للإنسان ، هذا الحبل الهام ينفصم أى يفسد بالموت
ويبطل مفعوله وينتهى .

١٩ - أو ينسحق كوز الذهب :

كوز الذهب هنا يمثل الجمجمة وبداخلها المنخ ،
فالجمجمة تمثل فى شكلها الدائرى الكوز أو السلطانية
وبداخلها المنخ بتركيبه العجيب وخلاياه المعقدة يمثل الذهب
الغالى لأن المنخ أعلى وأهم جزء فى جسم الإنسان .
هذا المنخ يبطل عمله أو « ينسحق » بالموت .

٢٠ - أو تنكسر الجرة على العين أو تنقص البكرة عند البئر :

يقول بعض المفسرين ان هذه العبارة معناها أن

الوريدان الأجوفان (العلوى والسفلى) اللذان يعيدان الدم الى الجانب الأيمن من القلب (الأذين الأيمن ثم البطين الأيمن) يتوقفان عن عملهما عند الموت .

كذلك الشريان الأورطى الذى يستقبل الدم من البطين الأيسر للقلب ليوزعه بعد ذلك على بقية شرايين الجسم الموجودة فى كافة الأعضاء حتى يتحرك الجسم ويؤدى مهامه يتوقف هو الآخر عن الحركة ، وكل ذلك بسبب توقف القلب عن العمل فيتجمد الدم فى الأوردة والشرايين ويصبح جسم الانسان جثة هامدة ، تبدأ فيها بعد الموت مباشرة عوامل التعفن والتحلل .

+ كل هذه الأسباب لو وضعت معا لسكونت لنا أكبر حافز على ذكر خالقنا فى أيام شبابنا حينما نكون قادرين على العمل والجهاد وحتى ننأى عن الشر بإرادتنا الحرة ونحن قادرين على عمله ان أردنا ، فيفرح الله بنا ويذكرنا برحمته ويعزينا بتعزياته الالهية عندما نصل الى الشيخوخة بكل متاعبها وأهوالها .

وحتى يطمئن بالناس الى مصيرنا الأبدى السعيد بعد مغادرة هذه الحياة فلا نقضى شيخوختنا فى الندم أو الخوف أو القلق كما يفعل الأشرار الذين نسوا ذكر الله فى شبابهم ولم يسيروا فى الطريق المستقيم ، فاذا وصلوا الى الشيخوخة حرموا من متع العالم وملذاته التى تعودوا

عليها وأيضا يعذبهم الضمير بأنهم لم يرضوا الله ولا يستطيعون فى شيخوختهم أن يعملوا شيئاً من الجهادات الروحية وأنهم مقبلون على آخرة صعبة ومصير مؤلم .

قد تقول : يمكن للإنسان أن يتوب عند مرضه أو عند شيخوخته وعجزه ، ولكننا نقول ان توبة المريض مريضة ، وتوبة العاجز عاجزة وأحسن وقت للتوبة وذكر الله هو فى وقت الشباب وعنفوان القوة .

+ ختم الأمر كله :

يختم الحكيم نصائحه الثمينة للشباب بقوله :
« فلنسمع ختم الأمر كله . اتق الله واحفظ وصاياها لأن هذا هو الإنسان كله » .

لم يقل الحكيم « اسمعوا » بل قال « فلنسمع » واضعاً نفسه بين السامعين الواجب عليهم تنفيذ الوصية لخيرهم ومصالحتهم ، وهذا تواضع عجيب يجب على المعلمين والخدام الاقتداء به أثناء خدمتهم وتعليمهم حتى يستفيدوا هم من الكلمة التى يلقونها قبل أن يستفيد منها غيرهم .

اتق الله :

وحياة التقوى هى حياة مخافة الله وتقديم الأكرام اللائق به لأنه يقول :

« ان كنت ابا فأين كرامتى وان كنت سيدا فأين هيبتى »

(مل ١ : ٦) .

كما يقول على لسان المرتل : « رأس الحكمة مخافسة

الرب » (مز ١١١ : ١٠) .

حياة التقوى هي حياة العبادة بالخشوع والورع

والفضيلة وممارسة وسائل النعمة بكل تقوى ووقار .

احفظ وصاياها :

حفظ وصايا الرب أمر محتم وواجب علينا لأن

وصاياها هي القوانين أو الدستور الذى نبني عليه حياتنا

فى كافة نواحيها ، وكثيرة جدا هي النصائح الالهية التى

تنصحننا بحفظ وصايا الرب لأن فيها خيرنا وعلى حفظها

تتوقف سعادتنا الأبدية .

وحفظ وصايا الرب ليس أمرا صعبا بالنسبة

للمهتمين بخلاصهم وحياتهم الأبدية ، فالحكيم يقول :

« حافظ الوصية لا يشعر بأمر شاق وقلب الحكيم يعرف

الوقت والحكم (جا ٨ : ٥) والرب يسوع نفسه يقول :

« نيرى هين وحملى خفيف » (مت ١١ : ٣٠) .

والرسول يقول :

« وصاياها ليست ثقيلة » (١ يو ٥ : ٣) .

وكثيرة جدا هي التطويبات الخاصة بحفظ وصايا

الرب وأحكامه بلا لوم ولا تهاون ، منها :

- + طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار .
لكن فى ناموس الرب مسرته وفى ناموسه يلهج نهائرا
وليل (مز ١) .
- + طوبى للحافظين الحق وللصانع البر كل حين (مز
١٠٦ : ٣) .
- + طوبى للرجل المتقى الرب المسرور جدا بوصاياه
(مز ١١٢ : ١) .
- + طوباهم الذين بلا عيب السالكين فى ناموس الرب
(مز ١١٩ : ٢٠) .
- + طوباهم الذين يفحصون عن شهادته ومن كل قلوبهم
يطلبونه (مز ١١٩ : ٢٠) .
- + طوبى لكل من يتقى الرب ويسلك فى طريقه (مز
١٢٨ : ١) .
- + الآن أيها البنون اسمعوا لى . طوبى للذين يحفظون
طريقى (أم ٨ : ٢٢) .
- + طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه (لو
١١ : ٢٨) .
- + أنتم تعلمون هذا فطوباكم ان عملتموه (يو
١٢ : ١٧) .
- + من اطلع على الناموس الكامل ، ناموس الحرية،
وثبت وصار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة فهذا

يكون مغبوطا في عمله (يع ١ : ٢٥) .

+ طوبى للذى يقرأ والمذنبين يسمعون أقوال النبوة
ويحفظون ما هو مكتوب فيها لأن الوقت قريب (رؤ ١ : ٣) .

+ ها أنا آتى سريعا . طوبى لمن يحفظ نبوة هذا
الكتاب (رؤ ٢٢ : ٧) .

+ طوبى للذين يصنعون وصاياها لكي يكون سلطانهم
على شجرة الحياة . ويدخلون من الأبواب الى المدينة
(رؤ ٢٢ : ١٤) .

لأن هذا هو الانسان كله :

تقوى الله وحفظ وصاياه تنحصر فيها كل واجبات
الانسان وعليها تتوقف سعادته وأبديته . كل مصلحته
فيها ولذلك يجب أن تكون هي كل اهتمامه ومحور انشغاله
حتى يجد راحة هنا في هذا العالم ويجد راحة وخالصا
في الحياة الأبدية .

+ لأن الله يحضر كل عمل للدينونة على كل خفى ان كان
خيرا أو شرا :

ان أهم ما يدفعا ويشجعنا على أن نذكر خالقنا في
أيام شبابنا وأن نعيش حياة التقوى والفضيلة وأن ندرس
وصية الرب بامعان ونحفظها ونعمل بها هو أننا سنقف
أمام عرش الله لنقدم حساب وكالتنا عن كل ما صنعناه ،
وعلى ضوء هذه الدينونة يتحدد مصيرنا الأبدى فاما

الى سعادة أبدية لا تنتهى تبدأ بالفردوس وتنتهى وتستمر
فى الملوكوت أو الى حياة تعيسة تبدأ فى الجحيم ثم
تكمل فى جهنم البحيرة المتقدة بالنار والكبريت حيث
يكون البكاء وصرير الأسنان ولن يكون هذا الحساب أو
الدينونة على الأفعال والأقوال الظاهرة فقط بل على « كل
خفى » على الأفكار والمشاعر والأحاسيس لأن كل شيء
عريان ومكشوف أمام الله ولا يخفى عليه شيء لأنه فاحص
القلوب ومختبر الكلى .

+ لماذا لم يقل الحكيم « أنكر الله فى أيام شبابك » بل
« أنكر خالقك » :

حينما ندرك ونؤمن أن الله هو خالقنا وموجدنا من
العدم الى الوجود وهو مصدر حياتنا وكل خيراتنا
به نتحرك ونوجد ونعيش وبدونه لا نستطيع أن نفعل شيئاً .
هو سيدنا ونحن عبده وصنعة يديه ، حينئذ يزداد حبنا
له واكرامنا لعزته الالهية فنذكره ونعبده ونشكره فى
أيام شبابنا وبالتالى فى بقية حياتنا حتى خروج النفس
من الجسد لانكف عن شكره وذكر أفضاله الكثيرة علينا .



الفصل الثانى

كيف نذكر خالقنا فى أيام شبابنا

ان الوسائل التى نذكر بها الله خالقنا كثيرة ومتنوعة منها :

١ - الصلاة :

فكل الصلوات على اختلاف أنواعها هى مناداة لله وذكر لاسمه القدوس المبارك لذلك ينصحنا النبى بمداومة الصلاة بلا انقطاع بقوله :

« يا ذاكرى الرب لا تسكتوا ولا تدعوه يسكت » (اش ٦٢ : ٦) .

أى لا تكفوا عن مناداته وطلب رحمته ومعونته حتى يستجيب طلباتكم ويعمل فى حياتكم عملا عجيبا متواصلا .

٢ - قراءة الكتاب المقدس :

فالكتاب المقدس هو كلام الله وأنفاسه ، لا يكاد يخلو أصحاب أو آية من اسم الله أو إشارة عنه ، فالذى يقرأ فى الكتاب المقدس كتاب الله يصبح الله حاضرا دائما فى ذهنه ووجدانه « ولهم اسم الله مكتوبا على جباههم » (رؤ ٢٢ : ٤) .

٣ - حفظ وصايا الرب والعمل بها :

وتحويلها الى حياة معاشة فيتحول الشباب الى انجيل خامس أو رسالة الله المقروءة من جميع الناس .

٤ - الأعمال الصالحة :

التي يعملها الشباب أولاد الله تجعل الناس يمجدون الله ويسبحونه ويذكرونه بالتكريم والتمجيد « لكى يرى الناس أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٢ : ١٦) .

٥ - قراءة الكتب الروحية :

فهي بكافة أنواعها تتكلم عن الله سواء كانت كتباً لاهوتية أو عقيدية أو طقسية أو تاريخية أو تفسيرية .
فالله هو محور ومركز كل الكتب الروحية ، فيعيش الإنسان مع هذه الكتب فى ذكر الله على الدوام .

٦ - التناول :

التناول من جسد الرب يسوع ودمه الأقدس يجمعنا نحن بوجود الله معنا وحضوره فى كياننا وقد قال له المجد :

« خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكرى » . هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى ، (١ كو ١١ :

ومن المفيد أن يجعل الشباب يوم التناول يوما نموذجيا يحس فيه بقرب الله منه فيقضييه في نشاط روحي وممارسات نافعة له ولغيره ويحترس من السقوط في العادات الشريرة والخطايا والأخطاء الهدامة الضارة .

٧ - الخدمة :

الشباب الذي تختاره العناية الالهية ليكون خادما ، تكون الخدمة سبب بركة له قبل أن يكون هو بركة للمخدومين .

فجو الخدمة ومحيط الخدام جو نقي طاهر يكون الله هو محور اجتماعاتهم ولقاءاتهم بعضهم مع بعض وبذلك يعيش الشباب في ذكر دائم لله ، يقرأ كثيرا في الكتاب المقدس والكتب الروحية الأخرى لكي يحضر الدرس ويحاول أن يعيش الدرس ويعايشه ويختبره قبل أن يلقيه ، ثم يلقي الدرس في الفصل ثم يحضر اجتماع الخدام ، وتكون له بالطبع لقاءاته مع مخدوميه يحدثهم عن الله في زيارته الخاصة لهم ويحثهم على مواظبة الحضور الى الكنيسة ، وبهذا لا يجد وقتا للتفكير في الشر أو السقوط في الخطية ويتعد عن المعاشرات الرديئة التي تسبب الانحراف والفشل والهلاك .

هذا الشاب يكون قد نفذ نصيحة الرسول القائل :
« أما الشهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والايمان
والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي (٢ : ٢٢) »

الفصل الثالث

بركات ذكر الله خالقنا في أيام شبابنا

أن يذكر الشاب خالقه في أيام قوته وشبابه وينمو هذا
الاتجاه معه في حياته يحصل على بركات كثيرة ونعم جزيلة
مادية وروحية وفي النهاية حياة أبدية سعيدة يتمتع فيها
مع المسيح الذي أحبه وعاش ذاكرة له طيلة أيام حياته
ومن هذه البركات :

١ - البعد عن الخطية :

فالشاب الذي يذكر خالقه في أيام شبابه ويحاول أن
يتمسك به لا ينزلق الى مواطن الزلل والخطية حسب قول
المرنم :

« تمسكت خطواتي بأثارك فما زلت قدماي » (مز
(مز ١٧ : ٥) وبذلك يحيا حياة الانتصار على الشيطان
والخطية .

٢ - النجاة من آثار الخطية المدمرة :

معروف أن أجرة الخطية موت (رو ٦ : ٢٣) أي عاقبتها الهلاك الأبدى ان لم يتب عنها الانسان ، هذا الى جانب آثارها المدمرة فى هذه الحياة الدنيا ، فهى تجلب الأمراض والفشل والخراب ، وحقا قال الحكيم : « البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية » (أم ١٤ : ٣٤) .

٣ - النمو فى النعمة والقامة الروحية :

الذى يتذكر الرب فى شبابه ويتمسك بوصاياہ ينمو فى النعمة والقامة الروحية أمام الله والناس مثل الشاب صموئيل الذى كتب عنه :

« وكبر الصبى صموئيل عند الرب » (١ صم ٢ : ٢١)
وليس عند العالم ، وكذلك كتب عنه :

« أما الصبى صموئيل فتزايد نموا وصلاحا لدى الرب
والناس أيضا » (١ صم ٢ : ٢٦) .

+ ومثل يوحنا المعمدان أعظم مواليد النساء الذى
كتب عنه :

« أما الصبى فكان ينمو ويتقوى بالروح » (لو ١ : ٨٠)

+ ومثل الرب يسوع قدوتنا الصالحة ومثلنا الأعلى

الذى كتب عنه :

« وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة
عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) .

ويصبح الشباب مشهودا له من الجميع بحياة التقوى
والفضيلة ومحبة الله كتيموثاوس الشاب الذى كتب عنه :

« وكان مشهودا له من الاخوة الذين فى ستره وايقونية »
(أع ١٦ : ٢) .

٤ - التمتع بصحة روحية وجسدية :

يتمتع الشباب الطاهر التقى بصحة روحية وجسدية
ونجاح علمى وسمعة طيبة ومستقبل مشرق وحياة محترمة
من الجميع كالشباب يوسف الصديق الذى تمسك بالرب
وبوصاياہ وبكل قوته فسانده الرب وحفظه وأوصله الى
أعلى مراحل النجاح والمجد « وكان الرب مع يوسف فكان
رجلا ناجحا . . . ورأى سيده أن الرب معه وأن كل ما يصنع
كان الرب ينجحه بيده . فوجد يوسف نعمة فى عينيه
وخدمه فوكله على بيته ودفع الى يده كل ما كان له . . .
لأن الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه » (تك ٣٩)

واستخدمه الرب فى انقضاء كل شعب مصر وشعوب
البلاد المجاورة من الموت جوعا حتى سمي « صفتات
فعنيح » أى مخلص العالم .

٥ - يكون بركة للاخريين :

من خلال عشرته مع الله واختباراته الروحية فى حياة التقوى والسير مع الله يستطيع أن يخدم الاخريين وينفعهم سواء بقِدوته أو بكلامه فيكون كابراهيم خليل الله الذى قال له الرب :

« أباركك وأعظم اسمك وتكون بركة » (تك ١٢ : ٢) .
وهكذا يكون الشاب التقى سبب بركة لنفسه ولكل الذين من حوله .

٦ - ينال مواهب متنوعة :

الانسان الذى يذكر خالقه فى أيام شبابه ويقضى حياته كلها فى السير مع الله والعشرة العميقة معه ويحيا فى حياة التقوى ومخافة الرب ينعم عليه الله أحيانا بمواهب مختلفة لمنفعته ومنفعة الكثيرين حوله لأن « الانسان الخائف الرب يعلمه طريقا يختاره . نفسه فى الخير تبيت ونسله يرث الأرض . سر الرب لخطئيه وعهده لتعليمهم » (مز ٢٥ : ١٢ - ١٤) .

٧ - يعيش شيخوخة سعيدة مباركة :

الذى يذكر خالقه فى أيام شبابه ويتعود على الممارسات الروحية ووسائط النعمة المختلفة من صوم وصلاة وحفظ المزامير وقراءة الكتاب المقدس وحفظ بعض أجزاءه عن ظهر قلب واعتراف وتناول يستطيع فى

شيخوخته أن يمارس ولو بعض هذه العبادات ووسائط
النعمة ويستمر في ممارستها دون عناء لأنه تعود
عليها منذ شبابه فتكون سبب بركة له في شيخوخته ،
وسبب تعزية وفرح ويوصينا أحد القديسين قائلاً : « جاهد
في شبابك لكي تفرح في كبرك » .

٨ - الفوز بالحياة الأبدية السعيدة :

فالذي يذكر خالقه منذ فجر شبابه ويقضى حياته
كلها في مخافته ومحبه وحفظ وصاياها بكل الأمانة
والتدقيق لا شك أنه بنعمة المسيح سيفوز بالحياة الأبدية
ويتمتع بالمجد الأبدى ويكون له ثقة أكيدة بذلك مع بولس
الرسول الذي قال :

« لأننى عالم بمن آمنت وموقن أنه قادر أن يحفظ
وديعتى الى ذلك اليوم » (٢ تي ١ : ١٢) .

« قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى حفظت
الايمان وأخيراً قد وضع لى اكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك
اليوم الرب الديان العادل . وليس لى فقط بل لجميع الذين
يحبون ظهوره أيضاً » (٢ تي ٤ : ٧ ، ٨) .

أخى الشاب :

أخيراً فلنسمع ختام الأمر كله اتق الله واحفظ وصاياها
لأن هذا هو الانسان كله .

أذكر خالقك فى أيام شبابك حتى يكون لك الخير كله .

الرب مع روحك . . آمين .